سورة الفرقان

«مكية» وآياتها ٧٧ آية

مدة الحفظ: ٧ أيام

هذه السورة: تبدو كلها وكأنها إيناس لرسول الله ﷺ وتسرية، وتطمين له وتقوية وهو يواجه مشركى قريش، وعنادهم له، وتطاولهم عليه، وتعنتهم معه، وجدالهم الباطل، ووقوفهم فى وجه الهدى وصدهم عنه.

* فهى فى لمحة منها تصور الإيناس اللطيف الذى يحيط به الله عبده ورسوله وكأنما يمسح على آلامه ومتاعبه مسحًا رقيقا.

* وهى فى اللمحة الأخرى تصور المعركة العنيفة مع البشرية الضالة الجاحدة المشاقّة لله ورسوله. وهى تجادل فى عنف، وتجنح عن الهدى الواضح.

* ابتدأت هذه السورة الكريمة بالحديث عن القرآن الذى تفنن المشركون بالطعن فيه، والتكذيب بآياته، فتارة زعموا أنه أساطير الأولين، وأخرى زعموا أنه من اختلاف محمد أعانه عليه بعض أهل الكتاب، وثالثة زعموا أنه سحر مبين، فرد الله تعالى عليهم هذه المزاعم الكاذبة، والأوهام الباطلة، وأقام الأدلة والبراهين على أنه تنزيل رب العالمين. ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾.

* ثم تحدثت عن موضوع الرسالة التى طالما خاض فيها المشركون المعاندون، واقترحوا أن يكون الرسول ملكًا لا بشرًا، وأن تكون الرسالة -على فرض تسليم الرسول من البشر- خاصة بذوى الجاه والثراء، فتكون لإنسان عظيم، لا لفقير يتيم، وقد رد الله تعالى شبهتهم بالبرهان القاطع، والحجة الدامغة، التى تقصم ظهر الباطل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِّن ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُوراً﴾.

* ثم ذكرت الآيات فريقًا من المشركين عرفوا الحق وأقروا به، ثم انتكسوا إلى جحيم الضلال ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ۝٢٧ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً ۝٢٨ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾.

* وفى ثنايا السورة الكريمة جاء ذكربعض الأنبياء إجمالاً وجاء الحديث عن أقوامهم المكذبين، وما حل بهم من النكال والدمار نتيجة لطغيانهم وتكذيبهم لرسل الله كقوم نوح،

وعاد، وثمود، وأصحاب الرس وقوم لوط، وغيرهم من الكافرين الجاحدين، كما تحدثت السورة عن دلائل قدرة الله ووحدانيته، وعن عجائب صنعه وآثار خلقه فى هذا الكون البديع، الذى هو أثر من آثار قدرة الله، ومشاهد من شواهد العظمة والجلال:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴾

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴾

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾

* وختمت السورة ببيان صفات عباد الرحمن، وما أكرمهم الله به من الأخلاق الحميدة التى استحقوا بها الأجر العظيم فى جنات النعيم: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾

وكأنما تتمخض عنهم معركة الجهاد الشاقة مع البشرية الجاحدة الضالة المعاندة، وكأنما هم الثمرة الحلوة الجنيّة الممثلة للخير الكامن فى شجرة البشرية ذات الأشواك.

* ثم يجئ تصوير هوان البشرية على الله، لولا تلك القلوب المؤمنة التى تلتجئ إليه وتدعوه ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾

ويمكن تقسيم السورة إلى أربعة أشواط:

الشوط الأول: من الآية رقم (١) إلى الآية رقم (٢٠) يتحدث عن المشركين وتطاولهم على الله ورسوله.

الشوط الثانى: من الآية رقم (٢١) إلى الآية رقم (٤٤) وفيه مشهد من مشاهد القيامة.

الشوط الثالث: من الآية رقم (٤٥) إلى الآية رقم (٦٢) وفيه جولة فى مشاهد الكون.

الشوط الأخير: من الآية رقم (٦٣) إلى الآية رقم (٧٧) وفيه يصور (عباد الرحمن)

التسمية: سميت السورة الكريمة (سورة الفرقان) لأن الله تعالى ذكر فيها هذا الكتاب المجيد الذى أنزله على عبده محمد ﷺ وكان النعمة الكبرى على الإنسانية لأنه النور الساطع والضياء المبين، الذى فرق الله به بين الحق والباطل، والنور والظلام، والكفر والإيمان.

الشوط الأول

(المشركون... وتطاولهم على الله ورسوله)

من الآية رقم (١) قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ...﴾

إلى الآية رقم (٢٠) قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ...﴾

مدة الحفظ: يومان

* يبدأ هذا الشوط بتسبيح الله وحمده على تنزيل هذا القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيرا.

* وبتوحيد الله المالك لما فى السموات والأرض، المدبر للكون بحكمة وتقدير، ونفى الولد والشريك. ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾.

* ثم يذكر اتخاذ المشركين مع ذلك آلهة من دونه لا يخلقون شيئا وهم يُخلقون ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾

* ويحكى مقولاتهم المؤذية عن الرسول لله من تكذيبه فيما جاءهم به، وادعائهم أنه إفك افتراه، وأنه أساطير الأولين اكتتبها... ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

* ويحكى اعتراضاتهم على بشرية الرسول وحاجته للطعام والمشى فى الأسواق، واقتراحاتهم أن ينزل عليه ملَك أو يلقى إليه كنز، أو تكون له جنة يأكل منها وأنه رجل مسحور (حاشاه): ﴿وَقَالُوا مَا لِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ۝٧ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾

* ولكى يهون على نفس الرسول ﷺ بكل ما سبق من مقولات جاحدة، يعلن ضلالهم وتكذيبهم بالساعة، ويتوعدهم بما أعده الله من سعير: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝١١ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝١٢ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾

ويعرض فى الصحفة المقابلة صورة المؤمنين فى الجنة: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا﴾

* وينتهى الشوط بتسلية الرسول ﷺ بأن الرسل جميعًا كانوا بشرًا مثله يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾.

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٨١) إلى صفحة رقم (١٨٣)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	١	١٠
	إلى	٩	٢٠

الشوط الثانى

(تطاول المكذبين ومشاهد القيامة)

من الآية رقم (٢١) قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا...﴾

إلى الآية رقم (٤٤) قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ...﴾

مدة الحفظ: يومان

* يبدأ هذا الشوط بتطاول المكذبين -بلقاء الله- على الله، وقولهم: ﴿لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾.

* ويعالجهم بمشهد اليوم الذى يرون فيه الملائكة: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾.

ليكون فى ذلك تأسية للرسول ﷺ وهم يهجرون القرآن وهو يشكو لربه هذا الهجران. وهم يعترضون على طريقة تنزيله ويقولون: ﴿لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾.

* ويعقب على هذا الاعتراض بمشهدهم يوم القيامة يحشرون على وجوههم وهم المكذبون بيوم القيامة، وبتصوير عاقبة المكذبين قبلهم: ﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾.

* وفى نهاية الشوط يعقب على هذا الاستهزاء بتحقيرهم ووصفهم بأنهم أنعام بل دون ذلك: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾.

وهكذا يُخرج المستهزئين من إطار الآدمية فى عنف واحتقار ومهانة.

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٨٤) إلى صفحة رقم (١٨٦)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٢١	٣٥
	إلى	٣٤	٤٤

الشوط الثالث

(جولة فى مشاهد الكون)

من الآية رقم (٤٥) قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ...﴾

إلى الآية رقم (٦٢) قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً...﴾

مدة الحفظ: يوم واحد

* وهذا الشوط يبدأ بجولة فى مشاهد الكون تبدأ بمشهد الظل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾

* ثم يستطرد فى الآيات إلى تعاقب الليل والنهار، والرياح المبشرة بالماء المحيى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾

ومع هذا فهم يعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم، ويتظاهرون على ربهم وخالقهم، ويتطاولون إذا دعوا إلى عبادة الله الحق ويقابلونها باستخاف واستنكار: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾.

* ويرد على تطاولهم هذا بتمجيد الله سبحانه وتكبيره والتحدث ببركته وعظمته، وعظمة خلقه، وآياته المذكرة به فى هذا الخلق العظيم.

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٨٦) إلى صفحة رقم (١٨٧)

الشوط الرابع

(صفات عباد الرحمن)

من الآية رقم (٦٣) قوله تعالى: ﴿وعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يمْشُونَ...﴾

إلى الآية رقم (٧٧) قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي...﴾

مدة الحفظ: يومان

هذا الشوط الأخير فى السورة يُبرز فيه ﴿عِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ بصفاتهم المميزة، ومقوماتهم الخاصة، وكأنما هم خلاصة البشرية فى نهاية المعركة الطويلة بين الهدى والضلال. بين البشرية الجاحدة المشاقة والرسل الذين يحملون الهدى لهذه البشرية. وكأنما هم الثمرة الجنية لذلك الجهاد الشاق الطويل، والعزاء المريح لحملة الهدى فيما لا قوة من جحود وصلادة وإعراض!

ثم يفتح باب التوبة لمن يرغب فى أن يسلك طريقة عباد الرحمن، ويصور جزاءهم على صبرهم على تكاليف الإيمان والعباده: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وسلاماً (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَاماً﴾

والآن وقد صور عباد الرحمن تلك الخلاصة الصافية للبشرية يختم السورة بهوان البشرية على الله لولا هؤلاء الذين يتطلعون إلى السماء. فأما المكذبون فالعذاب حتم عليهم لزام. ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً﴾

وهو ختام يناسب موضوع السورة كلها، ومساقها للتسرية عن رسول الله ﷺ وتعزيته عما يلاقى من عناد قومه وجحودهم، وتطاولهم عليه، وهم يعرفون مقامه، ولكنهم فى سبيل الإبقاء على باطلهم يعاندون ويصرون... فما قومه؟ وما هذه البشرية كلها، لولا القلة المؤمنة التى تدعو الله. وتتضرع إليه. كما يدعو عباد الرحمن ويتضرعون؟

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٨٧) إلى صفحة رقم (١٨٨)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٦٣	٦٩
	إلى	٦٨	٧٧